نخبة الفكر

١٤٣٦ هـ ٢٠١٥ م

"وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم"

للشيخ/ عمر محمود أبو قتادة

" وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم"

للشيخ/ عمر محمود أبو قتادة (حفظه الله)

نُخْبَةُ الْفِكْرْ

جمادى الأول 1436 ه – مارس 2015 م

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين

الحمد لله رب العـالمين، والصـلاة والسـلام على محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:-

فمن المعلـوم أن الله -تعـالى- قـرر أن هـذه الأُمَّة أُمَّةٌ واحـدة {إِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} وجاء هذا المعنى من اقتران عبادة الله وحـده بتوحيد الأُمَّة واجتماعها في قوله -تعـالى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُـوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْـلِمُونَ * وَاعْتَصِـمُوا بِحَبْـلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُــوا} وهــذه الآية فيها بيــان اخية الاجتمــاع وهو حبل الله -تعالى-.

وحبل الله: أوامره وشرعه وهديه.

ومن المعلـوم أن هـذا الـدين دين اللـه، وأن النـاس جميعًا خلقـوا من آدم وآدم من تراب، وما جُعلت القبائل والشعوب إلا من أجل قيمة التعارف لا غـير، فهي لا تصـلح لقيـام أُمَّة ولا تحقيق صـلاح ولا دفع ضـرر كما قـال -تعالى- {وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَـارَفُوا} ثم ذكر بعـدها منـاط الفاعلية في الوجود فقال -سبحانه-: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}.

فهـذه القبلية والعشـائرية وهي لها أسـبابها القَدَرية الـتي نيط بها أحكـام شرعية معتبرة إلا الولاء والبراء، فهذه لا تصلح أبـدًا في دين الله -تعـالى- كما قـال -سـبحانه وتعـالى-: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُـونَ إِخْـوَةٌ} فحصر الأخـوَّة بين الناس بالإيمان لا غـير، ودين الله -تعـالى- الـذي أنزله على رسـوله ﷺ لم يفــرق بين النــاس في شــيء على أســاس الأصل في العــرق أو البلد أو اللون، فهذه لا تُعرف أبدًا في دين الله -تعالى-.

وإذْ الأمر كـذلك وهو كـذلك، فـإن الله -تعـالى- كلف هـذه الأُمَّة تكـاليف جماعية لا تقوم إلا بجماعـةٍ مؤمنة لا جـامع لها إلا هـذا المصـدر من قولك مؤمنة، وكما قـال علماؤنا: تعليق الحكم بالمشـتق يـؤذن بعلية الاشـتقاق، يعــني أن أمر الله -تعــالى- لهــذه الأُمَّة لا يكــون إلا باجتماعها على هــذا المناط وهو الإيمان، وهـذا لمن علم دين الله على حقيقته وربط بين الأمر الشرعي والأمر القَـدَري أدرك أن وعـود الله بالنصر والتمكين لا تكـون إلا بقيام جماعة المسلمين على هذا الوفق والتدبير.

ومن تفكَّر في أقدار هـذه الأُمَّة وتـدبر في تفكـير أعـدائها ضـدها رأى أنها عُوملت معاملةً واحدة وكِيد لها على وفق أنها كيان واحد، ومن قـرأ تـاريخ الصراع المعاصر بيننا وبين الغرب بدءًا من نابليون إلى يومنا هذا علم هذا

جليًا؛ ولذلك كانت فكرة الخبيث نـابليون هو فصل جنـاحَي الأُمَّة المسـلمة بين أفريقيا وآسـيا بكيـان غـريب عنهـا، ولـذلك نشأ في ذهنه الوعد الـذي يجهله الكثيرون لليهود وهو ما سمي بـ«وعد نابليون»، وهذا الأمر يعني أن قيام الأُمَّة المسلمة لا يكون إلا بـالنظر اليها وحـدة واحـدة، وبداهة الـرأي تعـني أنه لا يمكن لقطر أن ينفلت من سـلطان الجاهلية على انفـراد دون حصول هبة الأُمَّة في أغلب أطرافها، والذين يريدون سلخ قسم واحد منها دون اهـتزاز سـلطان الجاهلية على المجمـوع هم واهمـون، وبـالنظر إلى أفكارهم نرى أنهم لا يفكرون بالشرع المنزل ليكون هو الفصل في قضايا السياسة والحيـاة وخاصة ما تعلق منها بموضـوع العلاقـات الخارجيـة؛ لأن هذا الجانب على الخصوص لا يمكن فيه تطبيق الشرع المنزل كما هو في كتاب الله -تعالى- وسيرة النبي ﷺ إلا بـأن يكـون الحكم لله في أغلب بلاد المسلمين ليتم الانعتاق من الجاهلية.

ولو تفكـرتَ لـرأيتَ عامة من يفكر قطريًا إنما همهم الأكـبر تحقيق حلقة إصــلاحية، زعمــوا، تحت ســلطان الجاهلية تعمل من خلال قوانينه الكلية الجاثمة على صدر العـالم، وأمّا من أراد دين الله -تعـالى- وتحقيق مقاصد الإمامة في أي بلد من بلاد المســلمين فإنه لزومًا لا بُــدَّ أن يفكر باعتبــار المسلمين أُمَّة واحدة، وأن انعتاق حلقة من حلقات تجمعات المسـلمين لا يكون إلا بنظر تام لجميع الأُمَّة المسلمة.

هناك من يتعامل تعاملًا ساذجًا غير سُنني مع واقع بلده، فهو يهمه الإصلاح الـداخلي كما يقـول، ونقـول زعمـوا ووهمـوا حين يتصـورون حـدوث هـذا الإصلاح دون البحث عن مقصد هـذه الأُمَّة في كتـاب اللـه، وذلك بأنها أمة الجهـاد والـدعوة إلى الله وقيـادة العـالم، هم يتصـورون أنه يمكن لهم أن يرتقـوا ببلـدهم على غـرار ما يـرون من الـدول الجاهلية الحديثـة، فجـلُّ مرادهم حلقة جاهلية محسنة في تصرفات حكامها، وترف حياتي، وسهولة معيشة، وأمّا مقاصد الـدين من إقامة هـذه الأُمَّة فلا يخطر لهم على بـال، وشأن هـؤلاء كمن يريد أن ينظف شـيئًا سـاقطًا في القـاذورات وهو مقيم في داخل حفرتها، كما ينسون ما كتبه الله من قاعـدة الحيـاة الطيبة لأهل الإيمان لا تكون إلا بإقامة شرعه كما قال -تعالى-: {مَنْ عَمِـلَ صَـالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً} والعمل الصالح ليس بمفهوم

الجهلة لكنه بتفسير القرآن له كما قال -تعالى-: {إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ} وكما قال -تعالى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً}

ومن تفكر بالارتباط السُنني بين شرع الله وقدره يرى أن الله يريد لهذه الأُمَّة أمر خير؛ لأنها أُمَّة مرحومة كما في الحديث، فهذا ربنا يجري من الأقدار العظيمة لتحقيق هذا المقصد، وهو أن أُمَّة الإسلام تنتفض جهادًا في أقطارٍ عدة، والبقية ليست إلا منتظرة لهذا القَدَر الإلهي العظيم وذلك لتحقيق الإسلام كما أمر الله، ولكن بعض الذي غلبت عليهم مفاهيم الجاهلية يأبون إلا العمل من خلال قانون ما مسخ عقولهم وأفسد تصوراتهم وهو واقع الجاهلية المصنوع على عينها، ومن أجل خدمة مقاصدها، وذلك بالتعامل مع مقاصد الدين ضمن قانون الجاهلية، وهذا لا يغضب الجاهلية ولا سدنتها، وهم أذكى من أن يعارضوا هذا الاتجاه بل سيدعمونه وينصرونه، أي أن تكون مسلمًا في وضعك الداخلي مع كفرك في شأنك الخارجي وهو الذي يهم منظومة الجاهلية الأكبر؛ لأنك حينها كالشيطان يقال له: لن تعدو قدرك، فما أنت شئتَ أم أبَيْتَ إلا خادمًا لنا وتحت سلطاننا، وأمّا شأنك مع نفسك فهذا لا يضرنا. وهذا هو أصلًا مفهوم العَلمانية في تجلياتها الذكية لاصطلام المسلمين.

بقيت قضية لا بُدَّ من اعتبارها من وجهين أولاهما: ما الخطوط الحمر الأخرى لدى الجاهلية غير دخولك وجوبًا في منظومتها الكلية باعتبار القانون الدولي مع بعض الرتوش في السلطان الداخلي؟

الجواب هو: القضية الفلسطينية.

إن من أهم ما ينظر إليه سلطان الجاهلية الأكبر ليقيم الحلقة الآبقة من الحلقة المطيعة، وبالتالي يتعامل على وفقها إحسانًا أو عقوبة إنما هو القضية الفلسطينية، ومن لم يفقه هذا فهو بحاجة إلى دروس في السياسة والتاريخ؛ ذلك لأن اليهود لهم العلو اليوم، وهذا لا يحتاج إلى برهان، فقضيتهم يجب أن تبقى أصلًا في تقييم الدول والجماعات، ثم إن المسألة اليهودية التي شغلت العالم الغربي طويلًا وكتب فيها مفكروهم الكلام الكثير وشغلت ضمائرهم الميتة لم تحل بحسب قادتهم من نابليون إلى بلفور، وهي حاضرة على طاولة كل رئيس غربي يراقبها ويرعاها لأنها

ركن وجوده السياسي، ثم لقضايا أخرى تتعلق عند الكثيرين بالاعتقـاد كما هو اعتقـاد بعض النصـارى بفكـرة «هرمجـدون» ونهاية العـالم، ولأسـباب مهمة كثيرة تحتاج بنفسها إلى مصنف مستقل.

فارتبـاط تحقيق الإسلام في دولة من الـدول والقضـية الفلسـطينية ليس بسـبب المخيـال الاجتمـاعي في الشـعوب المسـلمة كما يريد البعض تصـويرها، بل لأن الإسـلام بمفهومه الحقيقي لا يكـون في دولة إلا بـأن تتحقق رؤية الوجود كله من خلال هـذا الـدين. هـذا باعتبـار نظـرة الخـارج لهذه القضية.

وأمّا باعتبار التصور الإسلامي فإنه قد تَقَدَّم أن الإسلام لا يكون حقيقة في الأُمم إلا بإسـلام الحكم لله -تعـالى-، ولا يكـون إلا بما تَقَـدَّم من تحقيق الإيمـان بمفهومه القـرآني لا بمفهومه الجـاهلي المعاصـر، وبما تقـدم من ارتبـاط الأمر الشـرعي بالقَـدَري، وأنه لا أمـان ولا حيـاة طيبة دون تحقيق شرع الله -تعالى-، والقضية ليس كما يتصوَّرها البعض تكون على مراحل، نبدأ بـالفرد المسـلم ثم الأسـرة المسـلمة ثم المجتمع المسـلم ثم الدولة المسلمة، فيسحبون هـذا المفهـوم على تحقيق الدولة المسـلمة الواحـدة ثم ننطلق بعدها لغيرها.

إن هؤلاء من عجـائب هـذا الوجـود، وغـرائب هـذا الـزمن، إذْ نـراهم تحمر أنـوفهم وتنتفخ أوداجهم إذا ذُكر أمـامهم وجـود المهـاجرين المسـلمين المجاهـدين لنصـرتهم ضد طـاغوت بلادهم، وهم على اسـتعداد بـدخول صفقات خبيثة قذرة مع طـواغيت آخـرين من أجل بيع هـؤلاء المجاهـدين، ويتمنون لو أنهم يرحلون إلى البحر والغرق فيه! فمن كان كذلك؛ أحقًا هو يفكر فيما بعد سقوط طاغوت بلاده؟!

إن هـذه العنصـرية الجاهلية مخصـفية في تلافيف العقل لـديهم، وعنـدهم استعلاء القُطرية الذي نعرفه من هذه النفـوس، وهم لا ينتبهـون إلى أنهم صناعة الجاهليـة، وهم كـذلك مـادة الشـيطان في إبطـال مقاصد الجهـاد، وبيئتهم أصلح ما تكون لغرس الكـافر النكد وتطـبيق مؤامراته ضد الجهـاد وأهله.

نعم، هم يتخفـون بالمرحلية وعـدم القـدرة على المواجهة التامة لقضـايا المسلمين، لكن الحقيقة غير ذلك، وهذا ليس بحثًا في النوايا لكنها قـراءةٌ في الواقع الذي يراه أهل الإسلام منهم.

كان من سـعي العقلاء أن يتجنب الجهـاد في بلاد الشـام حمل إرث التيـار الجهادي في تاريخه والذي حمل به الكثير من الأعداء والقضـايا الخطـيرة، لكن القدر الإلهي كان له تدبير آخر، وذلك على قاعدة القـرآن: {وَتَـوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ} فكـان ما كـان من أن يكـون الجهـاد في سورية هو ملتقى الجهاد الـذي يريد الله فيه أن ينصر دينه ويحقق وعـوده رغم أنوف العقلاء بله العامـة، وها هو يتحـول بعناية من الله -تعـالى- إلى مواجهة كل الجاهلية وجهًا لوجه، إذا انتهت حربهم ضـدنا بالوكالة والقـادم أعظم والدلائل تشير إليه، فما الذي يدعو هؤلاء العنصـريون لحـدودهم أن يرتكسوا إلى الخلف ومستنقع الجاهليـة؟! الجـواب معلـوم، إنهم يعملـون ضمن خطوط أعداء الجهاد ومقاصده العظمى.

وختامًا، فإن التخفي وراء المصالح الموهومة والكلمات الجميلة من دعوى المرحلية، وترك المواجهات التي لا نقدر عليها تأجيلًا لحال القدرة فنقـول: هذا يمكن الإعذار به قبل أن يصل الجهاد في سورية الشام وغيرها إلى ما وصل إليه، فشئتم أم أبيتم صارت أرض الشام وهي أرض الإسلام قبل أن تكون أرضكم، وهي أرض الوعود النبوية قبل أن تكـون صـناعة قـراراتكم، ملتقى آمـــال أهل الإســلام في تحقيق الخلافة النبوية الراشـــدة، وإزالة الغربة الثانية، فإن هـداكم الله ارتفعتم لهـذه الوعـود، وإن شـئتم أخلـدتم إلى الأرض فذهبتم إلى مستقر أمثالكم في التاريخ.

والله الموفق، والحمد لله رب العالمين.